بحث محكم | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 16 مارس 2016

ابن طملوس والاستعراب الإسباني

في مراجعة أثر الغزالي في الغرب الإسلامي

فؤاد بن أحمد
باحث مغربي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2016
All rights reserved © 2016

الملخص

الغرض من هذه الدراسة النقدية هو مراجعة أعمال المستعرب الإسباني العلامة ميكائيل أسين بلاصيوس عن الفيلسوف والطبيب الأندلسي ابن طملوس (620هـ/1223م)، تلميذ ابن رشد. تكمن أهمية عمل بلاصيوس في أنه دشن الاهتمام بهذا الفيلسوف عن طريق تخصيص منوغرافية عن كتابه في المنطق العام 1908، وعن طريق إخراج جزئي وترجمة إلى الإسبانية للأجزاء الأولى من الكتاب المذكور المحفوظ في مكتبة الأسكوريال تحت رقم 649، وقد عرف بالمدخل لصناعة المنطق، وذلك عام 1916. لكن بلاصيوس لم يكتف بتحقيق النص وإخراجه للقراء بالعربية والاسبانية، وإنما قدم تأويلا مهما بخصوص سكوت ابن طملوس في كتابه هذا عن ذكر ابن رشد: على الرغم من أنّ ابن طملوس قد صحب أبا الوليد وأخذ عنه علومه فإنه قد تفادى ذكره بسبب المحنة التي تعرض لها ابن رشد آخر حياته. ولهذا فقد آثر العودة إلى الفارابي من أجل تعلم صناعة المنطق. وفي الوقت الذي سكت ابن طملوس عن ذكر شيخه المباشر، لم يكف عن مدح الغزالي والإشادة بأعماله.

وهكذا فقد عمدنا في مراجعتنا لعمل بلاصيوس إلى إظهار دواعي دراسته لابن طملوس وخلفياتها وخطوطها العريضة، وكذا إظهار قيمتها وحدودها. لم يكن الاهتمام بابن طملوس سوى جزء من مشروع أكبر عند بلاصيوس، وهو البحث عن آثار الغزالي في الغرب الإسلامي. وفي الواقع، لم يكن مجموع عمل ابن طملوس في المنطق هو ما يهم بلاصيوس، بقدر ما كان يهمه ذلك الصدر الذي وضعه مقدمة لكتابه في المنطق، وهو ذو طبيعة تاريخية ومذهبية. يظل عمل أسين بلاصيوس بالغ الأهمية، ومحتفظاً بقيمته إلى اليوم؛ إذ عُدّ المدخل لقراءة ابن طملوس والتعريف به عند الدارسين شرقاً وغرباً. لكنّ للعمل حدوداً أيضاً، وجب على الدارس اليوم أن يتبينها، وهو ما عمدنا إلى القيام به في سياق اشتغالنا على تحقيق متن ابن طملوس المنطقي ودراسته.

مقدمة

في حدود علمنا، إنّ العلامة المستعرب الإسباني ميكائيل أسين بلاصيوس (1871-1944) Miguel Asín Palacios هو أول من خصص دراسة تمهيدية عن الفيلسوف والطبيب الأندلسي ابن طملوس (620هـ/1223) ونشر قطعة من صدر كتابه **في المنطق** (1908)[1]، والذي سيعُرف **بالمدخل لصناعة المنطق** (1916) بعد نشره ما أسماه الجزء الأول من هذا الكتاب.[2] وهذا الجزء هو النشرة الجزئية التي ظلت تستعمل إلى اليوم من قبل دارسي ابن طملوس طيلة القرن العشرين.

من الناحية التاريخية، يعود الفضل في إثارة الانتباه إلى وجود عمل لابن طملوس إلى مفهرسي المخطوطات العربية المحفوظة بخزانة الأسكوريال بإسبانيا، وتحديداً إلى المستشرق اللبناني الأصل ميخائيل الغزيري (1710-1791) Miguel Casiri الذي قضى جزءاً من حياته في تأليف عمله الشهير **فهرست المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسكوريال** (1760-1770).[3] وعلى الرغم من أهميته إلى اليوم، فإنّ نواقص هذا العمل دفعت المستشرق الفرنسي هارتويغ درنبورغ (1844-1908) Hartwig Derenbourg إلى فهرسة تلك المخطوطات ووصفها من جديد لينشرها في عمل تحت عنوان **المخطوطات العربية للأسكوريال** (1884-1903).[4] ويحتوي المجموع الذي يوجد ضمنه مؤلف ابن طملوس على ثلاثة نصوص،[5] يتصدرها نص أبي الحجاج الذي يقع على 172 ورقة من المخطوط، وهو أكبر النصوص من حيث الحجم أيضاً.

إنّ المعلومات التي قدمها درنبورغ عن ابن طملوس ومؤلفه قد حملت إضافات مقارنة بما قدمه الغزيري،[6] غير أنها ظلت معلومات غير دقيقة؛ لأنّ مخطوط ابن طملوس يحمل شرحاً على مجموع النصوص المنطقية التي يتألف منها الأرغانون الأرسطي، كما عرف بعد أبي نصر الفارابي (349هـ/ 950م)، بينما اعتقد درنبورغ أنّ المخطوط في المنطق يتألف من شرح على **التحليلات الأولى والثانية** وشرح على

1- Miguel Asín Palacios, «La logique de Ibn Toumlous d'Alcira,» Revue Tunisienne (1908-1909) 474-479.

2- Miguel Asín Palacios, Introducción al Arte de la Lógica por Abentomlús de Alcira, texto árabe y trad. española por Miguel Asín, Fasciculo I: Categorías- Interpretación (Madrid: Imprenta Ibérica, 1916).

3- Miguel Casiri, Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis [Madrid], 2 vols. (Matriti: Antonius Perez de Soto imprimebat, 1760–1770).

4- Hartwig Derenbourg, Les manuscrits arabes de l'Escurial, Tome I (Paris: Ernest Leroux, 1884).ويمكن العودة إلى التقديم الذي وضعه هارتويغ درنبورغ لكتابه من أجل الوقوف على نواقص عمل الغزيري.

5- بالإضافة إلى **كتاب في المنطق** لابن طملوس نجد ضمن المجموع: **كتاب المستعمل من المنطق في العلوم والصنائع** لعلي بن رضوان المصري و**شرحاً لكتاب النفس لأرسطو**.

6- يعطي الغزيري عنوان **كتاب الإيساغوجي** لمؤلف ابن طملوس، انظر:

Miguel Casiri, Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis, p. 193.

كتاب العبارة لأرسطو.[7] ومن هذه الجهة يمكن اعتبار عمل أسين بلاصيوس مدخلاً للتعامل السليم مع ابن طملوس.

1. دواعي الانشغال بابن طملوس

عموماً، يمكن أن نحصي أربعة دواع حملت بلاصيوس على الانشغال بابن طملوس:

يتصل العامل الأول بحجم نص ابن طملوس، بينما يتعلق العامل الثاني بعدم دقة المعلومات التي أوردها درنبورغ في فهرسه الوصفي عن كتاب ابن طملوس، وهو ما ذكرناه أعلاه. وهكذا فقد انتبه أسين بلاصيوس إلى غموض المعلومات التي قدمها درنبورغ كما انتبه إلى الحجم الكبير لنص ابن طملوس مقارنة بالنصين الآخرين لابن رضوان وأرسطو. ويقول بخصوص هذين العاملين: "حجم هذا الكراس من جهة، وغموض المعلومات التي قدمها درنبورغ بخصوص موضوع **مدخله** من جهة أخرى دفعاني منذ زمن إلى دراسته بجدية".[8] وإذا كانت دراسة بلاصيوس لنص ابن طملوس قد استغرقت منه سنوات قبل أن يخرج إلى الناس بمقالته الأولى عن "منطق ابن طملوس الشقري" عام 1908، فإننا نفهم من ذلك أنّ الاهتمام بابن طملوس قد جاء في سياق بحثي أوسع لدى الرجل.

ويتصل العامل الثالث بشواغل بلاصيوس العلمية والفكرية. فلا شك أنّ الاهتمام بابن طملوس قد تزامن مع انتهائه من رسالته الجامعية الأولى عن الغزالي[9]، وكما يخبرنا، فقد كان في تلك الفترة بالذات منشغلاً بتجميع المواد الأساسية التي تساعد على تتبع أثر الغزالي في الغرب الإسلامي. لذلك فإنّ اطلاعه على المقدمة التي وضعها ابن طملوس لكتابه في المنطق، حيث وقف على إشادة الرجل وتحمسه لفكر حجة الإسلام ومنهجه في التأليف كانت "مناسبة سعيدة" لإخراج عمله عن ابن طملوس. يقول: "ربما تكون هذه الحيثية الأخيرة (أعني كون ابن طملوس تلميذاً متحمساً للغزالي) هي العامل الذي ساهم أكثر من غيره في أن أخصص له هذا العمل [...] بوصفه واحداً من مواد التأريخ لآراء الغزالي العقائدية في إسبانيا المسلمة، التي أنا منشغل بجمعها منذ زمن".[10] وبهذا يكون الاهتمام بابن طملوس عند بلاصيوس قد حصل أصلاً تحت مظلة الاهتمام بأثر الغزالي في الغرب الإسلامي.

وهناك عامل رابع كان أيضاً من دواعي اهتمام بلاصيوس بابن طملوس، ويعود هذا العامل إلى جمع ابن طملوس بين ميزتين قرّبتاه من بعض مفكري الحداثة أيام بلاصيوس. أمّا أولى الميزتين فهي روحه

7- Hartyig Derenbourg, Les manuscrits arabes de l'Escurial, Tome I, p. 455, n. 649.

8- Miguel Asín Palacios, «La logique de Ibn Toumlous d'Alcira», p. 474.

9- Miguel Asín Palacios, Algazel, dogmática, moral y ascética (Zaragoza: Tip. y Lib. de Comas Hermanos, 1901).

10- Miguel Asín Palacios, «La logique de Ibn Toumlous d'Alcira», p. 475.

النقدية العالية تجاه جهالة فقهاء عصره، وأمّا الثانية فهي احترامه العميق للعقيدة القويمة. يقول بلاصيوس: "يقدم هذا الرشدي نفسه ليس فقط باعتباره مؤرخاً نقدياً حقيقياً للفلسفة، راسماً لوحة التحولات المُعتقدية التي عرفها المسلمون في إسبانيا خلال قرون، وإنما كاتباً ساخراً منشغلاً بالتهكم بحذق بالغ من جهالة فقهاء بلده، مع إظهار عميق الاحترام تجاه العقيدة القويمة. ومن زاوية النظر هذه، هناك شبه واضح بين ابن طملوس وبعض الكتاب المسيحيين في أيامنا هذه الذين يتسمون باسم الحداثيين. وهاهنا، على ما أعتقد، داع آخر للاهتمام بابن طملوس".[11]

تلكم كانت الدواعي التي حركت بلاصيوس للاهتمام بابن طملوس. وهي، كما قد يظهر للمرء، تجمع بين الانشغالات العلمية بحصر المعنى والحساسيات الإيديولوجية والفكرية التي كانت تسكن أسين بلاصيوس في تلك الفترة من الزمن.

وبالنظر إلى الأهمية التاريخية لمساهمة بلاصيوس، فقد ارتأينا استعادة تلك الخلاصات التي انتهى إليها من تلك الدراسة التي وصفها بأنها "متأنية":

"بعيداً عن أن يكون مجرد شرح للأجزاء المشار إليها أعلاه [شرح على **القياس والبرهان**، وشرح على **العبارة**] من الأورغانون الأرسطي، عملُ ابن طملوس [عكس ما اعتقده درنبورغ] هو مختصر لمجموع المنطق، محرر بطريقة منسقة، تظهر لدى مؤلفه، بالإضافة إلى الإلمام التام بالمادة، موقفاً حازماً بعدم الاكتفاء بدور الشارح المتواضع.

إنّ المقدمة، وهي سيرة ذاتية علمية حقيقية، وثيقة مهمة لتاريخ الفلسفة في أسبانيا، وذلك ليس فقط لأنها تحتوي على إشارات مهمة إلى وضعية الدراسات في زمنه، بل إنها أيضاً ترسم الملامح الكبرى للوحة التحولات التي خضع لها المعيار الثيولوجي الضيق للفقهاء الأسبان، الذين كانوا يقاومون دائماً كل تجديد

11- Ibid, p.475.

وهو الأمر الذي سيعود ليؤكد عليه في مقدمة نشرته **للمدخل لصناعة المنطق**، انظر ص 28. يؤكد بلاصيوس أنّ المعطيات البيوغرافية التي نجدها عند ابن الأبّار (**التكملة لكتاب الصلة**، ج. 4، تحقيق عبد السلام الهراس (لبنان: دار الفكر للطباعة، 1995) ص 222.) وتلك التي تظهر في مقدمة **المدخل** تبيّن أنّ ابن طملوس كان رجل دين على الرغم من رشديته. انظر، ن. م. ص 17. وكأنّ الرشدية لا تتساكن والتدين. ويستطرد بلاصيوس في واحدة من ملاحظاته بالقول إنّ «الديباجة الدينية الطويلة التي افتتح بها كتابه تُظهر تقديراً كبيراً للرموز الدينية الإسلامية، وذلك على عكس ما جرت عليه عادة كتب المشائين من قبيل ابن رشد مثلاً، حيث الرصانة التي يظهرها في افتتاحيات شروحه يمكن أن تكون مدعاة للاشتباه بخصوص تدينه.» انظر مقدمة نشرة **المدخل**، ص 17، هـ 17-18. لا يدخل ضمن جدول أعمالنا رد أقوال بلاصيوس بخصوص هذه المسألة، لكننا يمكن أن نشير بسرعة إلى أنّ مقدمات كتب ابن رشد الموجودة بين الناس اليوم أبعد من أن تحمل المرء على التشكك في تدين ابن رشد. ومن ثم، فلعل الذي حمل بلاصيوس على مثل هذا القول هو بالأحرى، المعنى الذي كانت تحمله الرشدية عنده في ذلك الزمن. هذا مع أنه كان يميز عموماً ابنَ رشد المتدين عن الرشديات غير المتدينة. انظر دراسة مطولة له، وخاصة القسم الثالث منها حيث يقارن بين ابن رشد والقديس طوماس الأكويني«El Asín Palacios averroísmo teológico de Santo Tomás de Aquino,» in Homenaje a D. Francisco Codera en su jubilación del profesorado. Estudios de erudición oriental (Zaragoza: Escar 1904) 271-331.

بخصوص العقيدة، لكنهم بالمقابل كانوا على استعداد للقبول به مذهباً عقدياً عندما اعتادوا بعد ذلك على اعتباره من باب السنّة والتقليد".[12]

على الرغم من أنّ ابن طملوس كان تلميذ ابن رشد، كما يقول أصحاب السير، فقد استطاع أن يتفادى بعناية فائقة ذكر أستاذه ولو مرّة واحدة على طول الكتاب؛ بينما كانت المناسبة تدعوه لذلك في كل مرّة وحين، وخاصة عندما نجده يشكو في المقدمة نقص الكتب الخاصة بالمنطق، وعندما نجده يحصي مختلف المحن التي خضع لها كل من كان يتعاطى العلوم النظرية في إسبانيا.

وإنّ المشائية الرشدية لابن طملوس كانت خجولة إلى درجة أنه فضل، في ما يتعلق بالمنطق، استعمال كتب الفارابي لقراءة أرسطو بدل اللجوء إلى كتب الفلاسفة الأسبان من قبيل ابن باجة وابن رشد أستاذه، حيث وصمة الكفر كانت أشهر فيهما- لأنهما كانا فيلسوفين معاصرين- أكثر مما قد يكون عليه الحال مع مشائي مشرقي [الفارابي].

«وإذا كان ابن طملوس يلتزم الصمت العميق تجاه ابن رشد، كما قيل قبل قليل، فإنه بالمقابل يسعد بالقول إنه تلميذ الغزالي، مدعياً أنّ كتبه المنطقية كانت مدخله إلى هذه الصناعة. ويغالي بتوجيه أكثر أشكال المدح حماسة إليه، لا من وجهة النظر الأدبية والوضوح والمنهج الذي يظهر بوضوح في تحرير أعماله، وإنما أيضاً من وجهة نظر العقيدة القويمة في كل أعمال الغزالي، حيث ينسب إعادة الاعتبار لها في أسبانيا إلى الإمام المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية».[13]

إلى جانب هذه الاستنتاجات التي جاءت، أساساً، ثمرةَ قراءته لمقدمة **كتاب ابن طملوس في المنطق**، نشر بلاصيوس لأول مرّة مقطعاً مترجماً إلى الفرنسية من تلك المقدمة.[14] ويمكن للمرء أن يسجل أنّ العنوان الذي سيشتهر به مؤلف ابن طملوس، أي **المدخل لصناعة المنطق**، لم يكن قد ظهر بعد، حيث لا ذكر له في هذه الدراسة. كما يمكن أن يسجل أنّ هذه الاستنتاجات قد استعادها كاملة مترجمة إلى الأسبانية وصدر بها تقديمه لنشرته لما اعتبره الجزء الأول من **المدخل لصناعة المنطق** عام 1916.[15]

12- يقول بلاصيوس في موضع آخر: "بعد أن بحث عبثاً عن أسباب كراهية الفقهاء الأسبان للمنطق، استقر رأي ابن طملوس على رد هذه الأسباب إلى سبب واحد: حب التقليد والألفة"، "منطق ابن طملوس الشقري" ص 475. هذا السبب هو ما يضعه الدارس دومنيك أورفوا على محك نصوص فقهاء آخرين لإظهار أنّ الفقهاء لم يكونوا آنذاك على رأي واحد. انظر Dominique Urvoy, La structuration du monde des Ulémas a Bougie au VIIe/XIIIe siècle,» Studia Islamica XLIII (1976) 87-107, p. 90.

13- Asín Palacios, «La logique de Ibn Toumlous d'Alcira», p. 474-75.

14- Ibid, p. 475-79.

15- Asín Palacios, Introducción al Arte de la Lógica por Abentomlús de Alcira, p X-XI.

2. بيوغرافيا ابن طملوس

لم تظهر نصوص جديدة أوثق من تلك المعروفة زمن ميكائيل أسين بلاصيوس، وقد استعملها في إعداده نشرته المذكورة. صحيح أننا نجد تفاصيل إضافية في بعض كتب التراجم والسير، لكنها تظل متأخرة مقارنة بابن الأبّار وابن أبي أصيبعة. لذلك كان معتمد بلاصيوس في التوثيق لحياة مؤلفنا ولتكوينه وأعماله هو **التكملة لكتاب الصلة** و**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**. وبالنظر إلى قلة المعلومات التي نجدها في هذين النصين، والتي لا يمكن أن تساعد على تكوين صورة متكاملة عن سيرة ابن طملوس، اضطر بلاصيوس إلى اللجوء إلى مقدمة المؤلف نفسه. وفي الواقع، فقد ساعدته الطبيعة السّيرية والتاريخية لتلك المقدمة في إنارة جوانب متعلقة بتكوين صاحبها. لكنّ جوانب أخرى كثيرة، مع ذلك، ظلت غامضة إلى اليوم، كما ظلت محط تخمين الدارسين.

ومن هذه الجوانب التي ظلت غامضة: سنة ميلاد ابن طملوس، وعنوان مؤلفه في المنطق وتاريخ تأليفه، واسم والد ابن طملوس، وعلاقته بابن رشد، وهو ما أطلقنا عليه "مسألة بلاصيوس". وإن كنا نُقدّر أنّ المسألتين الأخيرتين لم تكونا كذلك عند مترجمي الرجل ولا في نصوصه على الأقل.

3. ميلاد ابن طملوس

لأسباب يتعلق بعضها بموقع العائلات الاجتماعي لا تنشغل كتب التراجم بسنوات الميلاد بقدر ما تنشغل بسنوات الوفاة. وهذه هي حالة ابن طملوس، بحيث لم تذكر تراجم ابن طملوس أي إشارة إلى سنة ميلاده بينما أجمعت على أنّ سنة وفاته كانت عام 620 هـ / 1223م، لذلك فقد ظلت مسألة سنة الميلاد موضع تخمين وتقدير إلى اليوم. وقد كان أسين بلاصيوس مضطراً لإثارة هذه المسألة، لأنها جزء في جهاز التحقيق. أمام صمت ترجمات ابن طملوس عن سنة ميلاده صار من الصعب تحديدها ولو بالتقريب.[16] لذلك كان على بلاصيوس أن يقوم بمجموعة من التقديرات والعمليات الحسابية. فمن الوارد، حسب بلاصيوس، ألا يكون ابن طملوس قد درس عند الشيخين ابن وضاح اللخمي وأبي عبد الله بن حميد قبل أن يكون قد أتم عامه العاشر. وقد توفي الشيخان، على التوالي، عامي 587/ 1191 و586/ 1190. وبذلك يكون تاريخ ميلاد ابن طملوس هو 576 أو 577 ويكون قد عاش ثلاثة وأربعين أو أربعة وأربعين عاماً بعد ذلك. وهذه سن ليست بالكِبر الذي يفسر شهرته كطبيب ماهر، وهي الشهرة التي حملته إلى قصر الخلافة بعد 595/ 1199، عندما تولّى الناصر كرسيها. ووفق هذه الحسابات، فإنّ سن ابن طملوس عندئذ لم يكن ليزيد على تسعة عشر أو عشرين عاماً. وإلى ذلك، فعادة ما يُبدأ عند هذه السن بدراسة الفلسفة، التي تعتبر صناعة الطب فيها

16- Asín Palacios, Introducción al Arte de la Lógica por Abentomlús de Alcira, p. XIX.

فرعاً من الطبيعيات، ليدرس المنطق بعد ذلك.[17] لذلك، يفترض بلاصيوس أنّ سن ابن طملوس كان خمسة وثلاثين عاماً على الأقل حتى يشرع في خدمة التطبيب داخل القصر، وهو ما يعطينا تاريخ 560 هـ/ 1165 سنةً للميلاد، وستين عاماً من عمره عندما توفي.[18] ويضيف بلاصيوس قرينة أخرى لدعم تقديراته، وتتعلق بورود لقب الشيخ في رأس مخطوطة الأسكوريال. وهو اللقب الذي لم تجر عادةُ إطلاقه إلا بعد بلوغ الستين على مُدرسي بعض المواد التي تقتضي احترام الشيب.[19]

وتجدر الإشارة، من جهتنا، إلى أنّ لقب الشيخ قد ورد في رأس مخطوطة **شرح الأرجوزة الطبية لابن سينا** أيضاً، وهو قد ألف قبل تاريخ كتابة عمله **في المنطق**، لذلك فالمرجح أنّ لقب الشيخ من إطلاق النسّاخ في ما بعد. وبالجملة فإنه على الرغم من المجهود الذي بذل على مستوى تحديد سنة ميلاد ابن طملوس، فقد ظل هذا التاريخ محل أخذ وردٍّ بين الدارسين بالنظر إلى ما يترتب على كل تاريخ مفترض من تبعات ذات صلة بمحيط ابن طملوس وبمواقفه.

4. اسم ابن طملوس

كان ميخائيل الغزيري، في حدود معرفتنا، أول من قدم وصفاً لمخطوط ابن طملوس في المنطق ضمن **فهرسة المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسكوريال** المذكور أعلاه.[20] وقد ورد اسم مُؤلِّف العمل المخطوط في المتن باللاتينية على الصورة التالية: Abilhagiag Joseph Ben Mohamad Ben Thamlus أبي الحجاج يوسف بن محمد ابن طملوس.[21] لكن المؤلف ورد في المقابل العربي للاسم اللاتيني تحت اسم أبي الحجاج يوسف بن محمد بن طلموس [كذا].[22] وكان قبل ذلك، قد ورد باللاتينية تحت اسم Ben Thalmus أو ابن طلموس [كذا].[23] قد يكون هذا التحريف ناتجاًعن خطأ مطبعي، أو عن خطأ في نقل الاسم العربي إلى اللاتينية، كما حصل فعلاً في نقل اسم أبي الحجاج.[24]

17- Ibidem.

18- «Por eso habrá que suponer a Abentomlús la edad de treinta y cinco años, por lo menos, para que comenzase a servir en palacio, lo cual nos daría para su nacimiento la fecha de 560 y para su muerte la edad de sesenta años.» Ibid, p. XIX-XX.

19- Ibid, p. XX.

20- Bibliotheca arabico-hispana Escurialensis (Madrid, 1760-1770).

21- Ibid, p. 193.

22- "تأليف أبي الحجاج يوسف بن محمد بن طلموس» الغزيري، مرجع مذكور، ص 193، هـ 5.

23- Bibliotheca arabico-hispana Escurialensis, p. 100, n° 79, «Abulhagiag Joseph Ben Mohamad Ben Thalmus»

24- أحياناً يقرأه Abulhagiag وأحياناً Abilhagiag تبعاً لوضعها (أبي، وأبو) في العربية. كما هو الشأن مثلاً في ص 100، رقم 79، حيث يرد ما يلي: "أبو الحجاج يوسف بن محمد بن طلموس من أهل جزيرة سقر [؟] من عمل بلنسية".

في عام 1869 نشر موريتز اشتينشنيدر (ت.1907) Moritz Steinschneider كتاباً عن **حياة وأعمال الفيلسوف العربي الفارابي**.[25] وقد ورد عنده اسم ابن طلميوس ben Thalm[i]us بدل ابن طملوس.[26] وبعد ذلك بعشرات السنين، نشر كتابه الشهير **الترجمات العبرية في العصر الوسيط واليهود كمترجمين**.[27] وكان اشتينشنيدر في هذه الفترة قد اطلع على عمل هارتويغ درنبورغ، مما جعله متردداً بين إثبات الاسم الصحيح الذي هو ابن طملوس، كما هو موجود في مخطوطاته، وبين أن يظل متمسكاً بالاسم محرفاً، كما ورد في الترجمة اللاتينية لإحدى المسائل المنطقية لابن طملوس،[28] وكما ورد عند الغزيري. ففي متن كتابه نجد اشتينشنيدر يضع اسم „ابن طلموس" ويورد اسم „ابن طملوس" بين قوسين، واضعاً علامة استفهام أمامه.[29] ولعل مرد هذا الخطأ الاسم الوارد في الترجمة اللاتينية عن الترجمة العبرية للمسألة المنطقية المشار إليها، وليس خطأ مطبعياً في فهرس الغزيري. وقد أشار اشتينشنيدر إلى التباين في كتابة اسم ابن طملوس بين المخطوطات والترجمات وفهرستي الغزيري ودرنبورغ.[30] وقد وقفنا في فهرسة الغزيري على أنّ اسم ابن طملوس قد ورد مرّةً على نحو صائب كما يحمله المخطوط الذي يصفه درنبورغ، أعني رقم 649، كما ورد مرّة أخرى على نحو محرف. وفي السياق ذاته، نبه هذا الأخير إلى الخطأ الذي سقط فيه اشتينشنيدر عندما أورد اسم „ابن طلموس" بدل „ابن طملوس".[31]

25- Moritz Steinschneider, Al-Farabi (Alpharabius) des arabischen philosophen Leben und Schriften mit beso - derer Rücksicht auf die Geschichte der griechischen Wissenschaft unter den Arabern nebst Anhängen: Joh. Philo- ponus bei den Arabern, Darstellung der Philosophie Plato's, Leben und Testament des Aristoteles von Ptolemaeus (Saint-Pétersbourg, 1869)

26- Moritz Steinschneider, Al-Farabi (Alpharabius) des arabischen philosophen Leben und Schriften «In der A - handlung des Abu'l Hedschadsch ben Thalm[i]us über denselben Gegenstand (f. 381 col. 3) wird Farabi nicht genannt.» p. 37. وانظر أيضا

Hebraeische Bibliographie. Blätter für neuere und ältere Literatur des Judenthums, nebst einer literar- ischen Beilage, Band XXI (1981/82) p. 64.

27- Die Hebräischen Übersetzungen des Mittelalters und die-Juden als Dolmetscher (Berlin, Kommissionsverlag des Bibliographischen bureaus, 1893; Nachdr. Graz: Akademische Druck- und Verlagsanstalt, 1956) reprint ().

28- Alhagiag Binthalmus, "Quaesitum De mistione propositionis de inesse et necessariae," in Aristotelis opera cum Averrois commentariis (Venetiis: apud Junctas, 1562-74; Nachdr. Frankfurt a. M.: Minerva, 1962), vol. I. pars 2b-3, fol. 124B-E.

29- «Abu '1-Haddjadj (ibn) Talmus (lies Tumlus?)» Die Hebräischen Übersetzungen des Mittelalters und die- Juden als Dolmetscher, § 44, n° xxiii.

30- "der Namen erscheint abwechselnd und, wie Schaprut und Baschrut. Abu ʿ1-Ḥaddjadj Jusuf b. Muh. ibn „Ta - mus" aus Xucar st. 620 H.(1223-4); abu Ishak b. Tamlus aus Xucar unter al-Naʿsir (1199— 1213)st. in Bulda(?); HB. xxl 64. Tumlus fand J. Derenbourg in ms. Esc. 649 (Casiri 646, so lies p. 457, s. p. 526)"§ 44, n° 408.

31- «Aboū '1-Hadjdjâdj Ibn Toumloûs, comme porte correctement le manuscrit, le même auteur que M. Steinsc - neider, Al-Farabi, p. 37, appelle Aboû 'L-Ḥadjdjâdj ben Thalmius (cf. Ibn Thalmus dans Hebräische Bibliographie, loc. cit. et la littérature qui y est groupée) (…)» Hartweg Derenbourg, Les manuscrits arabes de l'Escurial, I, p. 456.

يعزو بلاصيوس الأخطاء التي نسبها دورنبورغ إلى اشتينشنيدر إلى خطأ مطبعي ورد عند ميخائيل الغزيري الذي كتب ,,ابن طلموس" بدل ,,ابن طلموس"[32] ولعل اشتينشنيدر لم يكن في الواقع ضحية الخطأ المطبعي الذي ورد عند الغزيري وإنما كان يتابع الترجمة العبرية لإحدى المسائل المنطقية المشار إليها أعلاه، حيث يرد اسم المؤلف تحت صيغة ابن طلموس Alhagiag Binthalmus.

5. كتاب ابن طلموس في المنطق: العنوان

لا وجود في النسخة الخطية الوحيدة المتوفرة اليوم والمحفوظة بخزانة الأسكوريال لعنوان الكتاب، وابن طلموس نفسه يشير إلى كتابه لكنه لا يعنونه. وفضلاً عن ذلك فإنّ التراجم التي ذكرنا أعلاه لا تذكر أي مؤلف لابن طلموس. والشهادة الوحيدة التي نملكها اليوم تعود إلى القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وهي **ثبت** أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي ت 938 هـ/ 1532. فقد ذكر هذا **الثّبَتُ** ابن طلموس في مناسبتين، وأشار إلى أنّ مؤلفه كان يُدرس ضمن مجموعة من الكتب المنطقية **كضروري** ابن رشد **في المنطق، وجمل** الخونجي وغيرهما، لكنه لم يذكر عنوانه، بل اكتفى بالحديث عن صدر كتاب ابن طلموس.[33] ومن الوارد أنّ هناك نصوصاً أخرى غير هذا الثّبَتُ قد تكون ذكرت ابن طلموس، ولكنها غير متوفرة اليوم أو نجهلها.

وعلى الرغم من أنه لا شيء في النص يدل على عنوانه، فإنّ الذي حصل مع أول فهرسة لمخطوطات الإسكوريال هو إقدام ميخائيل الغزيري على عنونة كتاب ابن طلموس **بكتاب الإساغوجي**.[34] **والإساغوجي** في اليونانية تعني المدخل فعلاً، لكنّ عنونة نص ابن طلموس بإيساغوجي يسقطنا في مطب الخلط بين كتاب فرفوريوس الصوري (ت. 304) المعنون **بالمدخل** أو **إيساغوجي** الذي كتب في الأصل ليكون مدخلاً لكتاب **المقولات** لأرسطو، وبين نص ابن طلموس الذي هو مختصر لمجموع الأرغانون المنطقي كما عرف بعد الفارابي، أي أنه مدخل لصناعة المنطق ككل وليس لكتاب منها، إن جاز فعلاً استعمال هذا العنوان. أمّا هارتويغ درنبورغ فقد اعتبر مؤلف ابن طلموس بمثابة شرح على **التحليلات الأولى والثانية** وعلى **كتاب العبارة**.[35] والظاهر أنّ وصف درنبورغ لم يكن دقيقاً، وقد وقف بلاصيوس على نواقصه، وقد أشرنا إليها أعلاه.

32- «Todos los errores de que Derenbourg hace cargos a Steinshneider deben atribuirse a una errata de Casiri que leyó Abentomlus, aunque transcribió correctamente Thamlus.» p. xii, n. 3.

33- "قال رضي الله عنه: "رويت عنه رجز ابن مالك في النحو، عرْضاً عليه بلفظي، والسماع من قراءة غيري، فقرأت عليه بلفظي صدراً من كتاب سيبويه، وصدراً من كتاب التهذيب، وسمعت أكثره. **ورجز** ابن سينا في المنطق، **وصدراً** من كتاب ابن طلموس. كل ذلك بلفظي، قراءة تفقه وتفهم». **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي** المتوفى عام 938 هـ/ 1532، دراسة وتحقيق عبد الله العمراني (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983) ص ص 201- 202

34- انظر ميخائيل الغزيري، مرجع مذكور، ص 193

35- Derenbourg, Les manuscrits arabes de l'Escurial, p. 649.

وعلى الرغم من طول مدة اشتغال بلاصيوس على نص ابن طملوس، فإنه لم يستقر على عنونته **بالمدخل لصناعة المنطق** إلا عند نشرته الجزئية للكتاب.[36] وهكذا فالعنوان، **كتاب المدخل لصناعة المنطق**، الذي يُعرف به اليوم كتابُ ابن طملوس في المنطق، ليس من وضع مؤلفه وإنما من اقتراح ميكائيل أسين بلاصيوس بناء على عبارات لابن طملوس نفسه تفيد الطابع التمهيدي للكتاب، كقوله مثلاً: «أشرع في كتاب يكون كالمدخل لهذه الصناعة وكالتوطئة لمن يريد أن يتعلمها».[37] والجدير بالذكر أنّ اقتراح بلاصيوس يملك وجاهة ما، وإن كان هذا لا يمنع من الافتراض أنّ شخصاً يعتبر الغزالي ناجحاً في مهمة استبدال أسماء كتبه المنطقية بأسماء أخرى تفادياً لكل شبهة أو تهمة، قد يكون هو نفسه لجأ إلى استعمال عنوان لا يرد فيه اسم المنطق، مقتنعاً في ذلك بضرورة الاقتداء بالغزالي.

وعموماً فإنّ الدارسين في ما بعد واصلوا الإحالة على عمل ابن طملوس بنوع من الغموض. وهو ما سنقف عليه حين وقوفنا على مساهماتهم في مسار البحث في ابن طملوس. أمّا نحن فإننا نفضل أن نسميه **كتاب في المنطق** لابن طملوس.

6. مسألة بلاصيوس

المسألة الثانية، التي لم تكن كذلك في كتب التراجم على الأقل، تهم أساساً علاقة ابن طملوس بابن رشد، ولذلك فقد سمّيناها "مسألة بلاصيوس" لأنها من إحداث هذا الأخير.

وقف بلاصيوس في أكثر من مناسبة عند مسألة تجاهل ابن طملوس ذكر اسم شيخه ابن رشد وكتبه. فالتراجم كلها تقريباً قدمت ابن طملوس تلميذاً لابن رشد، ولكنّ ابن طملوس في عمله المنطقي لم يذكر أبا الوليد، ولو مرّة واحدة. الأمر الذي دفع بلاصيوس إلى التساؤل والبحث عن تفسير ممكن لهذا التجاهل. كان ابن الأبّار، مثلاً، قد شهد بتلمذة ابن طملوس لابن رشد، وأكد أنه قد صحبه وأخذ عنه علومه. لكنّ هذه الشهادة تتعارض مع موقف الصمت المثير الذي أظهره التلميذ تجاه شيخه. ولا ينفعُ مخرجاً من ذلك التعارض القولُ إنّ ما أخذه ابن طملوس عن ابن رشد هو صناعة الطب. يقول بلاصيوس: "صحيح أنه يمكن الركون إلى أنّ التلمذ (أخذ عنه علمه) قد اقتصر على الطب فقط، وهو الذي سطع فيه نور ابن رشد كابن طملوس، لكنّ هذا الافتراض يصبح غير مقبول عندما نأخذ بعين الاعتبار العلاقة الوثيقة التي كانت تجمع فروع المعرفة

36- لم يظهر العنوان في مقالة بلاصيوس لعام 1908

37- **المدخل لصناعة المنطق**، نشرة بلاصيوس، ص 15

في الموسوعة الأرسطية".[38] لذلك بدا لبلاصيوس أنّ تفسير ذلك التعارض إنما يقوم في عنصر آخر يتمثل في محنة ابن رشد.

ففي وقت كان الناس فيه حديثي العهد بالمحنة، ما كان ابن طملوس ليجرؤ على الحديث في مجال يحكمه الموحدون، بل في مجال ما يزال الفاعل الحقيقي في المحنة، وهو يعقوب بن يوسف المنصور المُوحدي (1184-1199)[39] على قيد الحياة، ولا ليجرؤ على أن يوصي بكتب ابن رشد في الفلسفة. بل أكثر من ذلك، إنّ موقع ابن طملوس في دائرة الحكم ما كان ليسمح له بالإشادة بكتب ابن رشد، فالرجل قد خلف أبا الوليد نفسه في موقع تطبيب الخليفة الموحدي الناصر (1199-1213). لذلك، فلعله كان من باب الاحتياط عدم الإقدام على ذكر اسم ابن رشد أستاذه تفادياً لإثارة حفيظة الفقهاء الذين كانت لهم يد في المحنة، لاسيما أنّ رجوع الخليفة المنصور في قراره وعفوه عن ابن رشد كان بمثابة انهزام لهم أمام مكانة الفيلسوف. فكان من "باب الاحتياط التصرف بحيث لا يثير شكوك وغيرة الفقهاء الذي انكسروا أمام أستاذه".[40]

والدليل على هذا الاحتياط هو تفادي ذكر ابن رشد حتى في الحالات التي كان فيها السياق يستدعي ذكره. وهكذا فقد أكد ابن طملوس على أنه كان قد استعان، في تعلمه صناعة المنطق، بكتب الغزالي والفارابي. ولكن استكمال تكوينه في هذه الصناعة لم يحصل دون مساعدة معلم شرح له ما استعصى عليه في أعمال الفارابي وأرسطو. وقد ظلت الإشارة غامضة إلى هذا المعلم الذي ذكر في مناسبتين على الأقل، إذ يقول: "عندي أنّ أبا نصر حقق معه كتاب يلقب **بالمختصر الكبير**، فبحثت عن هذا الكتاب حتى وقع بيدي وجعلت أطالعه وأستعين على فهمه بما فهمته من كتب الغزالي ففهمت منه ما شاء الله ثم طالعته مرة أخرى **واستعنت فيه بغيري** حتى فهمت أكثره بحسب ظني [...] وفي أثناء هذه المطالعة تبين لي أنّ كتاب أبي نصر مقصر وأنّ الصناعة كاملة إنما هي في كتاب أرسطاطاليس المكتوب في ذلك العلم. فلم أزل أبحث عن هذا الكتاب حتى وقع بيدي وطالعته **واستعنت في مطالعته بمن نبهني على ما أشكل عليّ منه** حتى كمل بالمطالعة وحصل منه في فهمي ما قدر الله لي أن يحصل".[41] صحيح أنّ ابن طملوس لم يكن في العموم حريصاً على ذكر أسماء المؤلفين الذين يقتبس منهم، لكنه كان صريحاً في اعترافه بأنه ينقل نصوص غيره عندما يراها

38- «Es verdad que cabe entender que este magisterio se limitase exclusivamente a la medicina, en que a si Av - rroes como Abentomlus brillaron extraordinariamente; pero esta hipótesis es inadmisible si se tiene en cuenta la estrecha relación que en la edad media guardaban entre si todas las ramas de la enciclopedia aristotélica.» Palacios, op.cit, p.xvi.

39- يقول بلاصيوس: "أقول هذا لأنّ ابن رشد والمنصور توفيا 595هـ أي 25 سنة قبل وفاة ابن طملوس. لذلك، لن يكون من المستغرب أن يكون قد كتب كتابه في **المنطق قبل هذا التاريخ، لأنه كتاب تمهيدي ابتدائي**". ص 17، هـ 1.

40- «Añadase a esto que Abentomlus vino a sustituir a Averroes en el cargo de médico de cámara, durante el rein - do de Annasir, hijo de al Mansur, y se comprenderá con qué prudencia habría de conducirse para no despertar entre los alfaquíes las sospechas y los celos que perdieron a su maestro. Por eso, cuando dice, en el prologo de su lógica, que necesitó servirse de maestro para penetrar bien el sentido de los libros de Alfarabi y de Aristóteles, limitase a emplear frases tan vagas como éstas.» Asín Palacios, op.cit, p. xvii.

41- ابن طملوس، **كتاب في المنطق**، مخطوط الأسكوريال، رقم 649، ورقة 4و، س 20- 4ظ، س 13

أوفى بالغرض،[42] كما حصل مع الفارابي في صدر **كتابه في المنطق**. وفي نظر بلاصيوس "فحسب ما قيل في سيرة ابن طملوس، لا يمكن أن يكون هذا المعلم سوى ابن رشد، الذي لابد أنّ شروحه على المنطق وعلى باقي الموسوعة الأرسطية قد دخلت في تكوين الفيلسوف الشقري".[43]

طبعاً لم يكن بوسع بلاصيوس أن يطلع على **شرح ابن طملوس على أرجوزة ابن سينا في الطب.**[44] ففي هذا الشرح تظهر بجلاء العلاقة المباشرة التي كانت تجمع ابن طملوس بابن رشد، بل وفيه يبرز التعبير عن التقدير والاحترام اللذين يكنهما له عندما وصفه بـ "رأس الحكماء وفاضل العلماء الشيخ الفقيه الأجل القاضي أبي الوليد محمد بن رشد رضي الله عنه".[45] وعلى الرغم من هذا، فإنّ مسألة بلاصيوس لم تكن لتنحل كليّاً، لأنّ التساؤل كان في الأصل بخصوص غياب ذكر ابن رشد عن **كتابه في المنطق** وليس في موضع آخر. وفي هذا الباب نقول إنّ المقارنة بين النصوص، نصوص ابن طملوس ونصوص ابن رشد، تجعل دائرة المسألة تضيق أكثر لتنحصر في عدم ذكر ابن رشد بالاسم في **كتابه في المنطق** وأنّ التجاهل لم يكن ليمتد إلى كتب ابن رشد وأفكاره، وإلا فإنّ المقارنة تظهر إلى أي حد كان ابن طملوس يستعمل كتب ابن رشد ويستعيدها أحياناً حرفياً أو مختصرة، لكن دون ذكر عناوين هذه الكتب ولا مؤلفها طبعاً.

7. تكوين ابن طملوس في المنطق: الغزالي

حسب بلاصيوس وجد ابن طملوس في العناوين التي أعطاها الغزالي لكتبه المنطقية وقاية حقيقية من كل تُهمة محتملة. كان الغزالي قد تفادى قدر الوسع استعمال مفردة "المنطق"، بالنظر إلى ما قد تُخلفه هذه الكلمة من عداء، مجاني أحياناً، وتبنّى بالمقابل مفردات أخرى تلتقي مع المنطق في معانيها. وهكذا **فمعيار العلم ومحك النظر والقسطاس المستقيم** وغيرها كلها عناوين لكتب تحمل محتويات منطقية بالمعنى المعهود، لكنّ الغزالي تفادى فيها استعمال مفردة "المنطق" دفعاً لكل شبهة قد ترد من الذين لا استعداد لهم للاطلاع على محتوياتها، وإن كانوا على استعداد مُسبق لمعاداتها.

وابن طملوس لمّا قرر أن يتعلم المنطق في مثل هذا المناخ الفكري الذي يقول عنه إنه كان معادياً للنظر العقلي، رأى أنه من باب الحكمة والاحتياط البدء بأعمال الغزالي. يقول بلاصيوس: "احتياطاً من كل تهمة

42- «Alguien, sin embargo, echará de menos en nuestra versión otro género de notas: nos referimos a las fuentes en que pudo inspirarse Abentomlús. Este confiesa sinceramente que transcribirá textos de otros autores de lógica, siempre que lo crea oportuno.» Palacios, op.cit., p. xxiv.

43- «Por lo que en la biografía de Abentomlús se dijo, ese maestro no pudo ser otro que Averroes, en cuyos c - mentarios a la lógica y a las demás partes de la enciclopedia aristotélica debió formarse el filósofo alcireño.» Ibid, p. xxv.

44- «Pero no sé tampoco que exista obra alguna suya sobre esta rama, si es que alguna escribió, cosa que tampoco consta.» Ibid, p. xix.

45- مخطوطة الخزانة الملكية، الرباط، 1014، 1و.

متوقعة بالمروق عن الدين كانت له الحكمة والقدرة على أن يختبئ وراء أعمال الغزالي، التي كانت على زمنه لا تشوبها شائبة، وذلك بعد أن أعاد الأمراء الموحدون الاعتبار لها، ودافعوا عن مذاهبها".[46]

وعلى الرغم من اعتراف ابن طملوس باستفادته من نصوص الغزالي والفارابي وأرسطو، وباستعانته بمعلم يشرح له ما استغلق عليه من كتب هذين الأخيرين، واعترافه ثالثاً بنقله كلام غيره في المنطق لما رآه أوفى بالقصد، "فإنه نادراً ما يذكر كاتباً، على الأقل في الكتابين الأولين اللذين يكونان هذا المجلّد الذي ننشره هنا".[47] ويعني بلاصيوس **المقولات والعبارة**. وهكذا فهو لم يذكر ابن رشد أبداً، وقد ذكر مرّة الفارابي وابن سينا عرضاً.[48] أمام هذا الوضع، يقول بلاصيوس: "زيادة على ذلك، نعتقد أنّ هذا البحث عن المصادر القريبة يمكن أن يكون موضوع بحث لدراسة مستقلة، بعد أن ننشر كل كتبه المنطقية".[49] ولعل هذه واحدة من الإشارات القوية لعمل بلاصيوس. وقد أظهر البحث اليوم في ابن طملوس مدى اعتماده على نصوص ابن رشد والفارابي.

8. قيمة منطق ابن طملوس

على الرغم من كون عمل ابن طملوس في المنطق لم ينشر إلا جزئياً فقط، فإنّ قيمة المنجز الطملوسي في المنطق كانت من أهم المسائل التي تعرض لها الدارسون. لذلك فمن الأسئلة التي يمكن أن يصادفها المرء في هذا السياق، التساؤل عن منزلة ابن طملوس في تطور المنطق العربي، أو التساؤل على نحو أعم: ما قيمة منطق ابن طملوس؟

هذا السؤال الأخير كان قد انشغل به بلاصيوس، وقد سجل بخصوصه تردداً كبيراً. لم يكن ممكناً لبلاصيوس الإحاطة بجميع المصادر التي استلهمها ابن طملوس والمواضع التي حصل فيها الاستلهام، لأنّ ذلك لم يكن يستدعي فقط تتبع الإحالات الصريحة لابن طملوس على مصادره، وابن طملوس لا يذكر أسماء الأعلام إلا نادراً، وإنما أيضاً مقارنة باقي أجزاء **كتابه في المنطق** بالنصوص التي يفترض أنها كانت ضمن مكتبة ابن طملوس. فباستثناء بعض الإشارات القليلة من قبل ابن طملوس إلى ابن سينا والفارابي، لم تحصل

46- «Que ya en su época habían quedado exentos de toda tacha, merced a la rehabilitación y apología que de sus doctrinas hicieron los príncipes almohades.» Palacios, Introducción al Arte de la Lógica, p. xv.

47- «Ahora bien; a pesar de todas estas confesiones, rarísima vez cita autor alguno, al menos en los dos primeros libros de su lógica que publicamos en este volumen.» Ibid, p. xxv.

48- **المدخل لصناعة المنطق**، نشرة بلاصيوس، ص 56. ونضيف إلى ذلك أنّ ابن طملوس قد ذكر الفارابي، وابن سينا بدرجة أقل، في أماكن متفرقة من **كتابه في المنطق**. ولعل الطابع التعليمي للكتاب هو الذي جعل ابن طملوس يتساهل في الإشارة إلى عناوين الكتب وأسماء أصحابها.

49- «Además, creemos que esta investigación de las fuentes próximas es tema aparte que puede ser objeto de est - dio especial, después que editemos por completo todos los libros de su lógica.» Palacios, op.cit., p. xxv.

أية مقارنة من قبل بلاصيوس بين نصوص فيلسوفنا ونصوص الفارابي وابن سينا وابن باجة وأرسطو[50] ولا بينها وبين نصوص ابن رشد. ووعياً منه بصعوبة هذا العمل نجده يقول: «من المستحيل تقويم المذاهب المنطقية التي عرضها ابن طملوس في كتابه قبل تقديم نشرة كاملة تسمح بالبحث عن المصادر التي استلهمها، ونستنتج، عن طريق الحذف، الجزء الشخصي من عمله».[51] غير أنّ هذا الشرط الموضوعي لم يمنع بلاصيوس من الإدلاء بموقف تقويمي حكم الكثير من الدراسات التي جاءت بعده. ويجب التأكيد، هاهنا، على أنّ بلاصيوس قد صاغ موقفه في صيغة فرضية مؤقتة ومقيدة، وإن كانت «مقبولة جداً». مفاد هذه الفرضية هو أنّ عمل ابن طملوس «الشخصي والأصيل ما كان ليكون بالشيء الكبير. إذ أنه كثيراً ما كان يعترف بأنه ينقل حرفياً من نصوص الآخرين، كما هو الشأن في حالة الفارابي، وربما أيضاً ابن رشد».[52]

هذا الحكم الفرضي والمؤقت في غاية الأهمية على أكثر من مستوى: فهو من جهة، لا يحدد لنا مواضع الجدة في هذا الشيء القليل الذي قدمه ابن طملوس بوصفه جهده الشخصي والأصيل الأمر الذي يجعل مهمة التقويم معلقة إلى حين؛ وهو من جهة ثانية لا يعتمد إلا صريح اعترافات ابن طملوس باعتماده نصوص غيره. والشاهد الوحيد الذي وقف عنده بلاصيوس هو المقطع الطويل الذي نقله ابن طملوس من **إحصاء العلوم** للفارابي بخصوص المنطق؛ ومن جهة ثالثة، يحتمل بلاصيوس أن يكون ابن طملوس قد نقل عن ابن رشد، وهو احتمال في محله، لكنه كان في حاجة إلى مقارنة بين نصوصهما للتأكد منه؛ وهو الأمر الذي ظل ينتظر سنوات طويلة لينجزه على نحو جزئي مارون عواد بخصوص **كتاب الخطابة**، وكاتب هذه السطور بخصوص أجزاء أخرى من **كتابه في المنطق**.

وعموماً، يظل عمل ابن طملوس من ناحية تاريخ المنطق مفتقراً إلى الأصالة في نظر بلاصيوس. لكن أهمية عمل ابن طملوس لا تنحصر، في نظره أيضاً، في قيمته المنطقية وحدها، بل إنّ العمل المنطقي بمعناه التقني لم يكن هاجس بلاصيوس، ولا الداعي إلى دراسة ابن طملوس، لذلك نجده يقول إنّ هذا الافتقار إلى الأصالة له قيمة لا يستهان بها عنده، وذلك على ثلاثة مستويات: الأول، وهو القيمة الأثرية لعمل ابن طملوس، وتتجلى في كونه قد احتفظ لنا بأعمال لمناطقة آخرين معروفين كالذين وردت أسماؤهم، وذلك من خلال نقوله لنصوصهم؛ «وهذا الاحتفاظ، وإن كان جزئياً، فهو مناسبة سعيدة من دونه كانت تلك الأعمال

50- يقول مثلاً بخصوص المقارنة بين نصوص ابن طملوس وأرسطو:

«Por esta misma consideración hemos dejado de señalar también los lugares del Organon de Aristóteles paralelos de la lógica de Abentomlús, labor, por otra parte, no difícil, aunque sí pesada y enojosa, y cuyo resultado científico habríase reducido a comprobar lo que ya sabemos por confesión del propio autor, es decir, que su lógica es en el fondo la misma de Aristóteles.» Ibid, p. xxvi.

51- «Es imposible valorar las doctrinas lógicas expuestas por Abentomlus en su libro, antes que su edición co - pleta permita realizar la investigación de las fuentes en que se inspiro e inferir, por eliminación, la parte personal de su trabajo.» Ibid, p. xxvii.

52- «Ya hemos insinuado, como hipótesis provisional, pero muy verosímil, que su labor propia y original no debió ser mucha, ya que en el prologo confiesa que a menudo copiara literalmente textos de otros autores, como en efecto lo hace con Alfarabi y quizá también con Averroes.» Ibid, p. xxvii.

ستفقد للأبد ربما».[53] وفائدة نص ابن طملوس من هذه الناحية لا غبار عليها، لأنه يعين على تحقيق وإخراج نصوص أخرى وقراءتها في ضوء نص ابن طملوس.

أمّا قيمة عمل ابن طملوس من وجهة نظر تاريخ الفلسفة الوسطوية، وهو المستوى الثاني، فتتجلى في كون هذا العمل قد قدم «عرضاً واضحاً ومنهجياً وكاملاً لكل الأجزاء المكونة لأرغانون أرسطو. هذا في وقت كانت قد شرعت فيه السكولائية المسيحية في التعرف فيه على مجموع الأرغانون واستعماله، بعد أن كانت محرومة لقرون طويلة من النواة الصلبة والجزء الجوهري من منطق أرسطو، أي **التحليلات الثانية**».[54]

أمّا المستوى الثالث فهو القيمة النقدية لعمل ابن طملوس، وهذا المستوى له مكانة خاصة في قلب بلاصيوس. فقد حملت هذه القيمة النقدية بلاصيوس على المغامرة بمقارنة ابن طملوس ببعض المفكرين المعاصرين لبلاصيوس الذين جمعوا بين المسيحية والحداثة في الآن نفسه. فقد أبان ابن طملوس عن قدرة كبيرة على أن «يُظهر احتراماً عميقاً للعقيدة القويمة»، وأن ينتقد في الآن نفسه وبرهافة غير مسبوقة «تزمت ونمطية وجهل فقهاء بلده. ومن وجهة النظر هذه يُظهر ابن طملوس شبهاً كبيراً مع بعض كتاب عصرنا المسيحيين الذين يعتبرون حداثيين».[55] ولعل هذه المهارة في الجمع بين روح التدين وروح الحداثة هو ما جعل بلاصيوس يبحث عن وشائج القربى بين ابن طملوس والغزالي، بل هو أحد دواعي إخراج **كتابه في المنطق**، كما أظهرنا أعلاه.[56]

9. المدخل لصناعة المنطق

اعتماداً على المخطوطة اليتيمة المحفوظة في الأسكوريال تحت رقم 649 أخرج بلاصيوس عام 1916 قسماً من عمل ابن طملوس، وهو على التوالي: **صدر الكتاب، والمدخل (إيساغوجي) والمقولات والعبارة؛**

53- «Sin embargo, esta falta de originalidad tiene para nosotros el valor no despreciable de habernos así conserv - do, aunque fragmentariamente, obras de pensadores tan celebres en la historia de la filosofía como los dos citados, que sin esta feliz coincidencia habrían quizá desaparecido para siempre.» Asín Palacios, Introducción al Arte de la Lógica, p. xxvii.

54- محمد العدلوني الإدريسي، **المدخل لصناعة المنطق لابن طملوس**، أعاد نشره وحققه وقدم له محمد العدلوني الإدريسي (البيضاء: دار الثقافة، 2006) مقدمة الكتاب، ص 20. يترجم العدلوني sus analíticos posteriores بـ"تحليلاته اللاحقة". ماذا ينتظر العدلوني أن يفهم قارئه من قوله؟ ثم فضلاً عن ذلك، كان يكفيه أن ينظر إلى الخط المائل الذي كتب به العنوان حتى يتبين أنّ الأمر يتعلق بكتاب.

55- «En él se nos revela, no solo como sagaz historiador critico de la filosofía, sino también como fino ironista que, simulando un profundo respeto hacia la teología ortodoxa, se burla, con delicadeza insuperable, de la rutina e ignorancia de los teólogos de su país, y desde este punto de vista Abentomlus ofrece un sorprendente parecido con algunos escritores cristianos de nuestros dias a quienes se califica de modernistas.» Palacios, Introducción al Arte de la Lógica, p. xxviii.

56- انظر فقرة بعنوان دواعي البحث.

وهي الأجزاء التي تحتل من المخطوط حيزاً من 1ظ إلى 35 و.[57] وهذا بعد أن كان نشر عام 1908 قطعة (2ظ4- و) من صدر الكتاب مترجمة إلى الفرنسية. ويجب أن نضيف أنّ مارون عواد قد نشر الجزء الخاص **بالخطابة** والذي يحتل الحيز من 124 وإلى 157 ظ ونشر قطعة صغيرة من كتاب **الشعر** من الكتاب نفسه، وتقع في 158 و- ب. أمّا باقي الكتب فهي على التوالي **كتاب القياس** (من 35 وإلى 66 ظ) **وكتاب التحليل** (من 66 ظ إلى 76 ظ) **وكتاب البرهان** (من 76 ظ إلى 93 و) **وكتاب الأمكنة المغلطة** (من 93 وإلى 102 ظ) **وكتاب الجدل** (من 102 ظ إلى 124 و) **وكتاب الشعر** (من 157 ظ إلى 172 و) وهذه الكتب كلها قيد النشر من قبلنا.

10. ملاحظات

ليس هاهنا موضع الوقوف بتفصيل على القيمة العلمية للنشرة ولا للترجمة[58] اللتين كان بلاصيوس قد أنجزهما للجزء من كتاب ابن طملوس في المنطق، لكن وجب القول، بدءاً، إنّ الهنات الكثيرة التي صاحبت نشرته لا تنقص في شيء من القيمة التاريخية للعمل الذي دشن به عملية نشر نصوص ابن طملوس، هذا فضلًا عن أنّ معتمد بلاصيوس كان هو النسخة الخطية الفريدة المتوفرة اليوم.[59] وعلى سبيل التمثيل فقط، يمكن الإشارة إلى بعض المواضع التي جانب فيها بلاصيوس الصواب في القراءة. ففي ص 6، هـ: 1 نجده يشير إلى بياض في النص، والحال أنّ الأمر ليس كذلك، إذ لم يتمكن من قراءة عبارة «يزاولها». وفي ص 6، سطر 10: قرأ «احتاجه» والصواب «لصناعة». سطر 23: قرأ «للمتقدمين» والصواب «المتقدمين». في ص 7، سطر 7: قرأ «الرقيق» والصواب «الترتيب». في ص 8، سطر 6: قرأ «ويغلب» والصواب «ويبلغ»، وقرأ «بالغت» والصواب «بلغت». في ص 13، سطر 6: قرأ «يعلى» والصواب «يعلم». في ص 14، سطر 4 قرأ «هذى» والصواب «هذه»، سطر9: قرأ «اطلعه» والصواب «أطالعه». ص 15، سطر 4، قرأ «فلم» والصواب «ولم»، سطر 8، قرأ «عناءها» والصواب «غناها»، سطر 11 قرأ «قنون» والصواب «قانون»، سطر 25، قرأ «غير» والصواب «غيري»...، وعلى كل حال فنحن بصدد إعداد نشرة كاملة لنص **كتاب في المنطق** لابن طملوس.[60]

57- أعاد محمد العدلوني الإدريسي نشر النصوص التي سبق أن نشرها آسين بلاصيوس. وهي نشرة سقيمة وبتقديم يعج أخطاء وتحريفاً للأسماء العربية بسبب من نقله عن بلاصيوس دون عناء العودة إلى الأصول. وليس هنا موضع الوقوف على هذه الأمور.

58- على الرغم من وقوفنا على أخطاء كثيرة في ترجمة نص ابن طملوس إلى الأسبانية فإننا نترك الوقوف عند ذلك إلى مناسبة أخرى. ولكننا نود التأكيد على أنّ بعض الدارسين الذين اكتفوا بالتعويل على الترجمة الأسبانية قد راحوا ضحية تلك الأخطاء، بل منهم من بنى أحكاماً لا أصل لها سوى الخطأ في الترجمة.

59- أعدنا تحقيق صدر كتاب ابن طملوس في المنطق (1ظ-10و) فوقفنا على عشرات الأخطاء في القراءة. وقد حاول محمد العدلوني الإدريسي تجاوز بعض الهنات في ما أسماه نشراً ثانياً **للمدخل لصناعة المنطق**، لكنه كرر أغلب الأخطاء التي سقط فيها بلاصيوس.

60- باستثناء **كتاب الخطابة** الذي نشر نشرة نموذجاً في الجودة من قبل الدارس مارون عواد. انظر

Maroun Aouad, Le Livre de la Rhétorique du philosophe et médecin Ibn Ṭumlūs (Alhagiag bin Thalmus) introduction générale, édition critique du texte arabe, traduction française et tables par Maroun Aouad (Paris: Vrin, 2006).

صحيح أنّ بلاصيوس قد أظهر تردداً حذراً في الحكم على قيمة الفكر المنطقي لابن طملوس، لكنه مال في الأخير، واعتماداً على المقدمة فقط، إلى القول إنّ ابن طملوس لم يحمل في جعبته جديداً، بما أنه كان ينقل عن الفارابي، ومن المحتمل أن يكون قد نقل عن ابن رشد.[61] ويمكن القول إنّ بلاصيوس كان مصيباً في تخمينه بخصوص ابن رشد، لكنّ هذا التخمين ظل يفتقر إلى شواهد نصية تثبت ذلك، لا بل ظل ينتظر قرناً من الزمان ليتحقق. وإذا كان بعض الدارسين قد اكتفى باستعادة حكم بلاصيوس مقيداً، فإنّ آخرين أطلقوا ذلك الحكم من كل قيد ليسحبوه على كل العمل. هذا مع أنه لا أحد من الدارسين طوال القرن العشرين عزم على الذهاب في اتجاه التحقق من تخمين بلاصيوس، بينما ذهب بعضهم في اتجاه البحث عن الأصول الفارابية في **كتاب ابن طملوس في المنطق** على غرار ما سيفعل عبد العلي العمراني-جمال في بداية التسعينيات من القرن الماضي. وبعبارة أخرى، كان من شأن التحقق من تخمين بلاصيوس أن يضع البحث مبكراً على سكته الصحيحة، وأن يعفي الدارسين من الانتظار قرناً من الزمن ليكتشفوا أنّ نصوص ابن رشد كانت حاضرة بقوة في منطق ابن طملوس.

لا بد أن يسجل المرء أيضاً أنّ إسهام ابن طملوس الطبي كان خارج اهتمام بلاصيوس، مع أنّ شخصية الطبيب فيه كانت مساعدة في إنارة بعض الجوانب وبناء بعض التقديرات. لكن سيغيب عن أسين بلاصيوس الانتباه إلى وجود **شرح لابن طملوس على أرجوزة ابن سينا في الطب**،[62] مع أنّ الفهارس كانت قد أشارت إلى وجوده. وقد كان من شأن انتباهه إلى وجود هذا المخطوط أن يحل جزءاً من مسألة بلاصيوس التي سترهن الدراسات حول ابن طملوس إلى اليوم.

وبالمقابل، إذا كان بلاصيوس قد انشغل بعمل ابن طملوس في المنطق بوصفه يمثل مادة مساعدة على تحديد أثر الغزالي المذهبي وتتبعه في الغرب الإسلامي؛ وقد وجد في تحمس ابن طملوس لكتب الغزالي وإشادته بمنهجها ما يؤكد ذلك الأثر، فإنه لم يذهب في اتجاه تأكيد هذا الأثر من داخل النصوص، أي في اتجاه إظهار مواطن تأثر ابن طملوس بالغزالي في كتابته منهجاً ومضموناً. والحال أنّ الإشادة لا تكفي وحدها لتقوم دليلاً على التأثر. ثم أكثر من ذلك، أليس في التنصيص على كلمة المنطق في العنوان الذي وضعه بلاصيوس لعمل ابن طملوس ما يضاد منهج الغزالي في عنونة كتبه؟ وهو الأمر الذي أشاد به ابن طملوس، لأنّ الغزالي استطاع أن يتحايل به على مناهضي المنطق، وانتقده في موضع آخر لأنه لا يوفي شروط ألفاظ الصناعة المنطقية. قد يكون هناك نوع من الاستبطان لتجربة الغزالي في الكتابة، وفي استعمال لغة مألوفة عند الفقهاء، لغة لا تثير الشبهات. وهذا ما كان بلاصيوس في حاجة إلى أن يُبرزه اعتماداً على النصوص المنطقية نفسها، لا اعتماداً على تصريحات ابن طملوس في صدر كتاب أخرج أصلاً من أجل تبرير الاشتغال بالمنطق وبالكتابة فيه.

61- Asín Palacios, Introducción al Arte de la Lógica por Abentomlús, p.xxvii.

62- Ibid, p.xix.

خلاصة القول إنّ عمل بلاصيوس يظل في غاية الأهمية، على الأقل من الناحية التاريخية، ومن هذه الجهة فإنّ الدارسين بعده، عرباً وغيرهم، كلهم مدينون له. ففضلاً عن تمكينه الدارسين بعده من نشرة جزئية للنص تستعمل إلى اليوم، فإنه قد وجه بشكل أو بآخر مسار البحث في ابن طملوس، عن طريق تلك الخلاصات التي أدلى بها في دراسته المبكرة (1908) عن منطق ابن طملوس، والتي استعادها وأضاف إليها ملاحظات تقويمية في تقديمه لنشرة **المدخل لصناعة المنطق** (1916).

ببليوغرافيا

باللغة العربية:

- ابن طملوس، **شرح أرجوزة ابن سينا في الطب**، مخطوطة الخزانة الملكية، الرباط، 1014
- ابن طملوس، **كتاب في المنطق**، مخطوط الأسكوريال، رقم 649 à.
- البلوي، أبو جعفر. **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي** المتوفى عام 938 هـ/ 1532، دراسة وتحقيق عبد الله العمراني (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983) ص ص -201 202
- القضاعي، ابن الأبّار. **التكملة لكتاب الصلة**، ج. 4، تحقيق عبد السلام الهراس (لبنان: دار الفكر للطباعة، 1995).
- محمد العدلوني الإدريسي، **المدخل لصناعة المنطق لابن طملوس**، أعاد نشره وحققه وقدم له محمد العدلوني الإدريسي (البيضاء: دار الثقافة، 2006)

باللغة الأجنبية:

- Aouad, Maroun. Le Livre de la Rhétorique du philosophe et médecin Ibn Ṭumlūs (Alhagiag bin Thalmus) introduction générale, édition critique du texte arabe, traduction française et tables par Maroun Aouad (Paris: Vrin, 2006).
- Binthalmus, Alhagiag. "Quaesitum De mistione propositionis de inesse et necessariae," in Aristotelis opera cum Averrois commentariis (Venetiis: apud Junctas, 1562-74; Nachdr. Frankfurt a. M.: Minerva, 1962), vol. I. pars 2b-3, fol. 124B-E.
- Casiri, Miguel. Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis [Madrid], 2 vols. (Matriti: Antonius Perez de Soto imprimebat, 1760–1770).
- Derenbourg, Hartwig. Les manuscrits arabes de l'Escurial, Tome I (Paris: Ernest Leroux, 1884).
- Palacios, Miguel Asín. «El averroísmo teológico de Santo Tomás de Aquino,» in Homenaje a D. Francisco Codera en su jubilación del profesorado. Estudios de erudición oriental (Zaragoza: Escar 1904) 271-331.
- Palacios, Miguel Asín. «La logique de Ibn Toumlous d'Alcira,» Revue Tunisienne (1908-1909) 474-479.
- Palacios, Miguel Asín. Algazel, dogmática, moral y ascética (Zaragoza: Tip. y Lib. de Comas Hermanos, 1901).
- Palacios, Miguel Asín. Introducción al Arte de la Lógica por Abentomlús de Alcira, texto árabe y trad. española por Miguel Asín, Fascículo I: Categorías- Interpretación (Madrid: Imprenta Ibérica, 1916).
- Steinschneider, Moritz. Al-Farabi (Alpharabius) des arabischen philosophen Leben und Schriften mit besonderer Rücksicht auf die Geschichte der griechischen Wissenschaft unter den Arabern nebst Anhängen: Joh. Philoponus bei den Arabern, Darstellung der Philosophie Plato's, Leben und Testament des Aristoteles von Ptolemaeus (Saint-Pétersbourg, 1869).
- Steinschneider, Moritz. Die Hebräischen Übersetzungen des Mittelalters und die-Juden als Dolmetscher (Berlin, Kommissionsverlag des Bibliographischen bureaus, 1893; Nachdr. Graz: Akademische Druck- und Verlagsanstalt, 1956).
- Steinschneider, Moritz. Hebraeische Bibliographie. Blätter für neuere und ältere Literatur des Judenthums, nebst einer literarischen Beilage, Band XXI (1981/82) p. 64.
- Urvoy, Dominique. «La structuration du monde des Ulémas a Bougie au VIIe/XIIIe siècle,».

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2016

All rights reserved © 2016